مجلة كلية القانون والعلوم السياسية العدد (٤)

التحولات الاستراتيجية الروسية في البحرين الأسود والمتوسط

RUSSIAN STRATEGIC SHIFTS IN BLACK AND MEDITERRANEAN SEAS

د. حسن ناصر عبد الحسين الشمري
جامعة الكوفة ـ كلية العلوم السياسية

الملخص

إنَّ روسيا الاتحادية تقع في منطقة تمثل قلب العالم (أوراسيا) وهذا الموقع وفر لها ميزة استراتيجية حملت في طياتها كل مبررات المكانة والدور في النظام الدولي التي كانت عليه زمن الحقبة السوفييتية.

إلا ان تفكك الاتحاد السوفييتي واستقلال دوله ولَّد تحديات كبرى لروسيا الاتحادية تمثلت في: خسارتها لموانئ استراتيجية في أهم البحار العالمية مثل: البحرين الأسود والمتوسط. فضلاً عن انضمام تلك الدول الى حلف (الناتو) ومشاركة أربع دول أخرى لها في بحر قزوين التي كانت تسيطر عليه. لذلك قامت روسيا باتخاذ عدد من الإجراءات لمعالجة تلك التحديات التي خلفها التفكك السوفييتي عام ١٩٩١ تضمنت: استعادة الموانئ الواقعة شرق البحر الأسود وشماله ضمن إقليمي (أبخازيا) التي استقلت بدعم روسيا على أثر الحرب الجورجية – الروسية عام ٢٠٠٨ و(شبه جزيرة القرم) التي ضمتها روسيا عام ٢٩١٤. كما قامت روسيا بإعداد وتجهيز قاعدتي طرطوس وحميميم في شرق البحر المتوسط. فضلاً عن استعمال روسيا سياسة الردع ضد حلف الأطلسي لمنعه من ضم الدول التي تشترك بحدود معها الى عضويته.

وقد شهد البحرين الأسود والمتوسط تحولات استراتيجية جراء تلك الإجراءات التي قامت بها روسيا الاتحادية تميزت بآثارها السياسية والاستراتيجية التي أدت الى تحجيم الدور الأمريكي–الأوروبي في كلا البحرين الأسود والمتوسط وكسر الطوق المفروض عليها من قبل (حلف الناتو)، لتلبي بذلك متطلبات استعادة مكانتها ودورها في النظام الدولي.

Abstract

The Russian Federation is located in a region that represents the heart of the world (Eurasia).

However, the disintegration of the Soviet Union and the independence of its states gave rise to major challenges for the Russian Federation: the loss of strategic ports in the most important global seas such as: Black Bahrain and the Mediterranean. They also joined NATO and four other countries in the Caspian Sea that controlled it. Therefore, Russia has taken a number of measures to address the challenges left by the Soviet disintegration in 1991, including: the restoration of the ports east and north of the Black Sea within the regions (Abkhazia), which was independent with Russia›s support after the Georgian–Russian war in 2008 and (Crimea) annexed Russia in 2914. Russia also prepared and equipped the bases of Tartous and Hmeimim in the eastern Mediterranean. In

addition, Russia uses a policy of deterrence against NATO to prevent it from joining countries with which it shares borders.

Black and Mediterranean Bahrain has witnessed strategic shifts as a result of these actions by the Russian Federation, characterized by its political and strategic effects that have curtailed the US-European role in both Black and Mediterranean Bahrain and broke the siege imposed by NATO, thus meeting the requirements of regaining its position and role in International system.

مقدمة

نَّ روسيا الاتحادية التي تقع في منطقة تمثل قلب العالم (أوراسيا) تعرضت الى تحدي جيوبوليتيكي كبير تمثل في التفكك السوفييتي واستقلال دوله عام ١٩٩١. فقد أدى التفكك السوفييتي في خسارة روسيا لموانئ استراتيجية في أهم البحار العالمية مثل: البحر الأسود والمتوسط، مما جعلها تعاني من مشكلة عدم الاتصال بالبحار العالمية المفتوحة على خطوط الملاحة الدولية، فضلاً عن انضمام تلك الدول التي حصلت على الاستقلال الى حلف (الناتو) لتشارك الناتو أهدافه في فرض الطوق الذي على روسيا . والامر لا يختلف كثيراً في بحر قزوين الذي كان يخضع للسيطرة السوفيتيية، فقد شاركت روسيا دول أخرى في هذا البحر مثل: أذربيجان وتركمانستان وكازاخستان وقاسمتها موارده. لذلك قامت روسيا باتخاذ عدد من الإجراءات لمعالجة تلك التحديات التي خلفها التفكك السوفييتي. وكان الاجراء الأول في البحر الأسود ومحيطه وشمل:

مواجهة جورجيا بحزم في الحرب التي وقعت بينهما عام ٢٠٠٨، وقد تمخض عنها استقلال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية ذات الأنظمة السياسية الموالية لروسيا. وفي استقلالهما تحققت لروسيا أهداف تميزت بطابعها الجيوبوليتيكي والسياسي. فقد تمكنت روسيا من حماية حلفائها وإيقاف تمدد حلف الأطلسي، أما الجانب الجيوبوليتيكي في هذا الاجراء تمثل في حصول روسيا على موطئ قدم لها في شرق البحر الأسود ضمن إقليم أبخازيا ذات الموقع الجيواستراتيجي، وهو ما لبي أهم متطلبات كسر الطوق الذي فرضه حلف الناتو على روسيا وحماية الامن القومي الروسي. كما قامت روسيا الاتحادية بضم شبه جزيرة القرم ذات الموقع الجغرافي المهم بعد اجراء الاستفتاء عام ٢٠١٤، الامر الذي أعاد سيطرتها على شرق وشمال البحر الأسود.

أما الاجراء الاخر الذي اتخذته روسيا فكان في شرق البحر المتوسط، إذ قامت روسيا الاتحادية عام ٢٠٠٥ بتجديد العمل بالاتفاقية الروسية–السورية السابقة لعام ١٩٧١ الخاصة باستئجار قاعدة طرطوس البحرية، بعد تسوية الخلاف مع سوريا بشأن الديون المتراكمة عليها منذ الحقبة السوفييتية. وفي عام ٢٠٠٩، عقد البلدين اتفاقية أخرى تضمنت إعداد وتوسيع قاعدة طرطوس البحرية لتصبح ركيزة ومنطلق للتواجد العسكري الروسي المستمر في شرق البحر المتوسط، كما قامت روسيا بإطلاق التهديدات ضد حلف الناتو في إطار تحقيق المصداقية اللازمة لسياسة الردع، فقد لوحت روسيا بجعل أوروبا عرضة للأسلحة النووية الروسية إذا ما أقدم الحلف على ضم الدول التي لها حدود مشتركة مع روسيا الى عضويته، أو إذا تم نشر الدرع الصاروخي الأمريكي على الأراضي البولندية.

إنَّ أهمية الموضوع جاءت من تصاعد الدور الروسي في الشرق الأوسط عبر تركيز التواجد العسكري الروسي في شرق البحر المتوسط والمنطقة العربية، لاسيما في الازمة السورية، حيث برز الدور الروسي بشكل لافت مقابل تراجع الدور الأمريكي–الأوروبي.

وللإحاطة بالموضوع سنقسم البحث الى:

أولاً: الإجراءات الروسية في البحرين الأسود والمتوسط لما لهما من أولوية كبيرة في الادراك الاستراتيجي الروسي، لمواجهة الناتو وإعادة التوازن الاستراتيجي الذي كان سائداً قبل التفكك السوفييتي.

ثانيا: التركيز على الطبيعة السياسية والاستراتيجية التي أحدثتها الإجراءات الروسية في البحر الأسود والبحر المتوسط ومدى آثار تلك الإجراءات في كسر الطوق الذي فرضه التحالف الأمريكي–الأوروبي (حلف الناتو).

إشكالية البحث

الواقع الجغرافي الجديد لروسيا الاتحادية والعلاقة بدول الجوار. على الرغم من ان روسيا الاتحادية تقع في منطقة تمثل قلب العالم (أوراسيا) أي ان موقعها الجغرافي يوفر لها ميزة استراتيجية مهمة تحمل في طياتها كل مبررات وأسباب السيطرة العالمية، إلا ان خسارتها لموانئ استراتيجية جراء تفكك دول الاتحاد السوفييتي بعد عام ١٩٩١ شكل التحدي الجيوبوليتيكي الأكبر في تاريخ روسيا السياسي. كما أن روسيا أصبحت تجاور دول أعضاء في حلف (الناتو).

فرضية البحث

إن روسيا الاتحادية تمكنت من تلبية متطلبات استعادة مكانتها ودورها الدوليين رغم وجود بعض التحديات.

–السؤال المركزي للبحث: كيف تمكنت روسيا من تلبية متطلبات استعادة مكانتها الدولية ودورها العالمي.

المبحث الأول
الإجراءات الروسية في أهم البحار العالمية

تضمنت الإجراءات الروسية في البحار العالمية نشاطات الخارجية الروسية في المجال السياسي والدبلوماسي، فضلاً عن استعمال القوة العسكرية لمعالجة المشكلة الجيوبوليتيكية الجديدة التي تولدت على أثر استقلال دول الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، المتمثلة في خسارة روسيا الاتحادية لعدد من الموانئ المهمة في أهم البحار العالمية، مما جعلها دولة شبه حبيسة ومحاصرة من قبل الحلف الأطلسي [١].

لقد تفاقمت المشكلة الجيوبوليتيكية الروسية بشكل كبير في البحر الأسود. إذ فقد ت روسيا الاتحادية ملكيتها لقاعدة (سيباستوبول) البحرية في شبه جزيرة القرم ذات القدرات والإمكانات العسكرية الهائلة والتي آلت إلى أوكرانيا. وبعد تقاسم الأسطول السوفياتي في المنطقة توصّل الطرفان إلى اتفاقية بتأجير القاعدة البحرية للاتحاد الروسي لفترة يمتدّ أمدها حتى عام٢٠١٧.

ومع حرمان روسيا من الممرات والنوافذ الساحلية في أوكرانيا وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا، فإنّ المشكلة الجيوبوليتيكية الروسية أصبحت أكثر تعقيداً، لذلك قامت روسيا بوضع استراتيجية خاصة للتعامل مع هذه المشكلة. لاسيما في منطقة البحر الأسود والبحر المتوسط، من هنا نستطيع أن ندرك مدى الأهمية التي توليها روسيا الاتحادية اليوم لأسطول البحر الاسود وقاعدة طرطوس السوري، المنفذ البحري الوحيد المتبقّي لروسيا في شرق البحر المتوسط.

وعملاً بمبدأ ضرورة امتلاك القوة البحرية والتوسع فيما وراء البحار وتلبيةً لمتطلبات الظهور على المسرح الدولي كقوة عالمية، قامت روسيا الاتحادية باتخاذ عدد من الخطوات في كلا البحرين الأسود والمتوسط. فالبحر المتوسط يمثل مجالاً حيوياً عالمياً عبر التاريخ ويوفر النطاق الجغرافي الخصب لروسيا الاتحادية ليس في التحرك والتفاعل فحسب بل في ترسيخ دورها العالمي وفرض مصالحها قبال مصالح القوى الدولية الكبرى. يبلغ طول البحر المتوسط حوالي ٣٧٠٠ كم، أما عرض البحر فيبلغ حوالي ١٩٣٠كم، كما أن وقوعه على مفرق ثلاث قارات آسيا، أوروبا وافريقيا وتداخله مع البحار الأخرى زاد من أهميته الجيو استراتيجية والجيو اقتصادية، لاحتوائه على كميات كبيرة من الغاز الطبيعي الذي يعد مصدراً من المصادر المهمة للطاقة ويحوز أيضاً على ثروة سمكية كبيرة [٢].

كما إن للبحر الأسود أهمية جيواستراتيجية وجيو اقتصادية أيضاً، إذ يربط طرقاً عالمية مهمة مثل: شرق وجنوب أوروبا (روسيا وأوكرانيا ورومانيا وبلغاريا) ومنطقة القوقاز (جورجيا) وتركيا، والمنفتح على البحر المتوسط من خلال مضيق الدردنيل.

(١) جينيفر ميدكالف، حلف الناتو، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٨ .

(٢) كريم مصلوح، التعاون والتنافس في المتوسط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص٧٤.

كما يعدّه البعض منطقة القلب (اليورو–آسيوي). كما يمثل أهم طرق التجارة الدولية، إذ تبدو التجارة البترولية إحدى أكبر معالمها. فقد تجسدت أهمية منطقة البحر الأسود في تمرير أنابيب نفطية الى شرق أوروبا وأخرى مماثلة الى البحر المتوسط ومنه الى جنوب أوروبا ووسطها، مع احتمال رفدها على المدى الأبعد بنفط الشرق الأوسط. أن معظم هذه المشاريع تتصدى لها بالأساس الشركات الروسية. كما ينفرد البحر الأسود بمهمة نقل الطاقة من بحر قزوين المغلق الذي يحتاج لتسويق نفطه إلى مخارج بحرية[٣] .

وفي صدد أهمية السيطرة على البحار العالمية، وضع (ماهان) نظرية تضمنت: أن سيادة الدولة على البحار ترجع بصورة رئيسة إلى فعالية تنظيماتها الاستراتيجية (السوقية والتكتيكية) في البحار العالمية، واستخلص ماهان قاعدة أساسية هي: (مبدأ ضرورة امتلاك الأسطول البحري من أجل السيطرة العالمية)، وأن جوهر الاستراتيجية البحرية يجب أن توجه ضد قوى العدو في الميدان، وأشارت النظرية الى: أنه من الطبيعي تكون الغاية الأساسية لهذه الاستراتيجية هو ربح معركة التسلط على البحار عن طريق ضرب أسطول العدو الضربة القاضية. وقد لاقى هذا المبدأ قبولاً واسعاً في كثير من دول العالم ذات التطلعات العالمية، فقامت هذه الدول ببناء أساطيل قوية. أي أن السيطرة على البحار أصبحت مصدراً للعظمة ووسيلة للتوسع والسيطرة العالمية [٤].

ومن الملاحظ إنَّ جميع الإجراءات الروسية في كل من البحر الأسود والبحر المتوسط جاءت منسجمة مع نظرية (ماهان) الخاصة بضرورة سيادة الدولة على البحار العالمية، لذلك تركزت الإجراءات الروسية في أهم البحار العالمية ومن هذه الاجراءات:

الإجراءات الروسية في البحر الأسود:

حتمت الأهمية الجيو استراتيجية المتميزة للبحر الأسود على روسيا الاتحادية مواجهة التحركات العسكرية الجورجية ضد إقليمي أوسيتيا الجنوبية وابخازيا الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الاسود. فقد بدأت الحرب الجورجية–الروسية في ٨ أغسطس عام ٢٠٠٨، لأسباب مختلفة منها: قيام القوات الجورجية بمهاجمة إقليم أوسيتيا الجنوبية صاحبة الحكم الذاتي بعد ذلك اتهمت روسيا الاتحادية القوات الجورجية بقتل قوات حفظ السلام الروسية، وان هذا العمل العسكري قد وفر لروسيا اِلاتّحادية كل المسوغات بالرد الفوري على العدوان الذي شنته جورجيا ضد اوسيتيا الجنوبية والنظر في طلبي ابخازيا وأوسيتيا الجنوبية بشأن استقلالهما، ولاسيما بعد ان بدأت روسيا باتخاذ اجراءات تصعيدية بعد القمة التي عقدها حلف الناتو في نيسان ٢٠٠٨، في العاصمة الرومانية (بوخارست)، وقد وعد جورجيا خلال القمة بالانضمام الى عضويته في المستقبل القريب، وهو ما يعني استراتيجياً اقترابا كبيراً لقوته من المجال الحيوي للأمن القومي الروسي. وقد

(٣) دياري صالح مجيد، التنافس الدولي على مسارات أنابيب نقل النفط من بحر قزوين: دراسة في الجغرافية السياسية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠١٠ ، ص٧٤.

(٤) عبد الرؤوف رهبان، المدرسة الأمريكية – نظرية سيادة القوة البحرية الأعظم (نظرية ماهان)، الموسوعة الجغرافية، على الموقع:

http://www.4geography.com/vb/showthr...?p=#177post177

ردت (موسكو) على ذلك بمزيد من التطبيع للعلاقات مع أوسيتيا الجنوبية، فأكثرت من منح جوازات السفر الروسية لسكان الإقليم، وقدمت مزيدا من الدعم العسكري والسياسي للمطالبين بالانفصال عن جورجيا(٥). انتهت تلك الحرب في ٢٦/ إغسطس من نفس العام، بإعلان استقلال إقليمي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا وقد اعترفت روسيا الاتحادية باستقلالهما في الحال. وفي إطار سياسة كسب الحلفاء وتوسيع التحالفات السياسية، قامت روسيا بعقد اتفاقيات عديدة مع إقليمي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا منها: اتفاقية وقعت من قبل الرئيسان الروسي والابخازي (فلاديمير بوتين وراؤول خاجيمبا) في ٢٤/ تشرين الثاني/٢٠١٤ وصفت بأنها اتفاقية شراكة إستراتيجية بين البلدين، تضمنت تنفيذ أعمال مشتركة في مجال حماية الحدود الابخازية– الجورجية، لاسيما في المجال البحري التابع لابخازيا ومساعدتها في تعزيز العلاقات وتوسيع دائرة الدول التي اعترفت بها بشكل رسمي وتوفير الظروف اللازمة لانضمامها إلى المنظمات الدولية والإقليمية، الامر الذي أثار غضب القيادة الجورجية التي اتهمت (موسكو) بمحاولة ضم إقليم أبخازيا الى روسيا، وقوبلت الاتفاقية أيضا بانتقادات من قبل قيادة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الامريكية، حيث وصفوا هذا التحرك بأنه خطوة من جانب روسيا لتضم إقليم ابخازيا (٦).

كما وقعت روسيا عام ٢٠١٥، معاهدة تحالف مع إقليم اوسيتيا الجنوبية، وبحسب الكرملين: فقد وقع الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) والزعيم الاوسيتي (ليونيد تيبيلوف) اتفاقية تحالف وتكامل بين روسيا وجمهورية اوسيتيا الجنوبية التي إنتشر فيها أساساً آلاف الجنود من القوات الروسية منذ عام ٢٠٠٨ (٧).

ونصت الاتفاقية الجديدة: بان الاتحاد الروسي يتكفل ضمان امن اوسيتيا الجنوبية بما في ذلك حدودها، كما تقضي بدمج وحدات القوات المسلحة وأجهزة الأمن الاوسيتية الجنوبية في القوات المسلحة الروسية، كما تؤكد الاتفاقية على الدفاع المشترك في حال تعرض احد الجانبين للاعتداء (هجوم مسلح) من قبل دولة أو مجموعة دول أو تشكيلات مسلحة، فان ذلك يعد اعتداءً على الجانبين (الروسي والاسيتي)، فضلاً عن تشكيل منطقة عسكرية وأمنية موحدة، وتوسيع التعاون بين أجهزة الشؤون الداخلية ودمج الهيئات الجمركية وتسهيل إجراءات الحصول على الجنسية الروسية ورفع الرواتب والمعاشات التقاعدية وتوفير التامين الصحي لسكان إقليم اوسيتيا الجنوبية (٨).

لقد استطاعت روسيا توظيف علاقاتها بإقليمي (أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية) عسكريا واقتصادياً، ففي الجانب الاقتصادي تمكنت روسيا من جعل العلاقة بأبخازيا أقرب ما يكون إلى انضواء الأخيرة في عداد الأولى، بسبب اعتماد اقتصاد أبخازيا على

(٥) عمرو عبد العاطي، أوكرانيا وجورجيا: أزمات في منطقة الجوار، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٧٨) ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٩ ، ص٩٦.

(٦) وسيم خليل قلعجية، روسيا الاوراسية – زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٥، ص٨٠.

(٧) قيس العبيدي، الصراع الروسي الجورجي في اوسيتيا الجنوبية، مجلة الحوار المتمدن، العدد ٤٦٠ ، ٢٠٠٨، ص٧.

(٨) واثق محمد براك، التوجهات الانفصالية المعاصرة في القوقاز: (اوسيتيا الجنوبية، ابخازيا، ناغورنو قرة باخ)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ٥٩ ،٢٠١١، ص٦٥.

الاقتصاد الروسي بشكل كبير. أما في الجانب العسكرية فان روسيا قامت بعقد اتفاقيات لإقامة قواعد عسكرية روسية على أراضي الاقليمين، مما عزز من الوجود الروسي في منطقة القوقاز التي تشكل منطقة استراتيجية لروسيا الاتحادية ولها مصالح حيوية فيها، ثم قامت روسيا بعد ذلك بإجراء مناورات مشتركة مع الجانب الابخازي في ايلول عام ٢٠١٢، وكانت أكبر مناورات لها في ذلك العام. بذلك وسعت روسيا تواجدها العسكري في الإقليم الشرقي من شواطئ البحر الأسود على ساحل بحري طويل يبلغ حوالي ٢٢٠ كم، تتوزع عليه ثلاث موانئ بحرية هي: الميناء الرئيس في مدينة (سوخوم) وميناء منطقة (أوتشامتشيرا) الذي يعد من الموانئ المغلقة وميناء منطقة (بيتسوندا) الذي يعد من الموانئ المفتوحة [٩] .

إنَّ أبخازيا تحظى بأهمية استراتيجية كبيرة في المنظور الروسي كأهمية جزيرة القرم، لأنها تضم أكثر من نصف ساحل جمهورية جورجيا التي كانت عليه في ظل الحقبة السوفييتية [١٠].

أما قيام روسيا الاتحادية بضم شبه جزيرة القرم فكان الاجراء الأهم في سلسلة نشاطات الخارجية الروسية في شمال البحر الأسود والذي أحدث تحولاً كبيراً في إعادة التوازن الاستراتيجي بين روسيا والحلف الأطلسي في منطقة البحر الأسود. فشبه جزيرة القرم تبلغ مساحة تقدر بحوالي ٢٦ ألف كيلو متر مربع ويقدر عدد سكانها بحوالي مليوني نسمة. ومن أهم مدن شبه جزيرة القرم هي العاصمة (سيمفروبل)، ومدينة (يالطا) الساحلية السياحية الجميلة التي عُقد فيها مؤتمر يالطا بين قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية في فبراير عام ١٩٤٥ (ستالين وروزفلت وتشرشل)، أما ميناء سيفاستوبول الذي كان يؤوي أسطول الاتحاد السوفييتي الضخم، وقد ثارت خلافات حادة بين الدولتين الروسية والاوكرانية حول ملكية هذا الأسطول عقب إعلان أوكرانيا استقلالها في ديسمبر من عام١٩٩١ . وقد تم التوصل في عام ١٩٩٢، إلى اتفاق بين البلدين ليكون الأسطول تحت قيادة مشتركة بين البلدين، وفي يونيو من العام ١٩٩٥، قرر البلدان تقسيم الأسطول إلى قسمين تتسلم أوكرانيا (١٨,٣٪) من سفن الأسطول، أما الباقي من السفن فيباع بأسعار مخفضة إلى روسيا، ووقع البلدان في مايو من العام ١٩٩٧، اتفاقية تنص على مدة بقاء السفن الروسية من أسطول البحر الأسود في ميناء أوكرانيا إلى عام٢٠١٧، على أن يدفع الجانب الروسي (٩٨) مليون دولار أمريكي كل عام إلى الجانب الأوكراني كنوع من الاستئجار، إلا إنه في مايو من العام ٢٠٠٨ وقع الرئيس الأوكراني (فيكتور يوشينكو) الموالي للغرب أمراً يطالب به الحكومة بوضع قانون لإلغاء الاتفاقيات الدولية حول السماح ببقاء أسطول البحر الأسود في أوكرانيا، وفعلاً أصدرت وزارة الخارجية الأوكرانية في ٢٤ مايو من عام ٢٠٠٨، بيان القوات الروسية أن تسحب

(٩) نوار محمد ربيع الخيري، روسيا الاتحادية والسعي لإثبات المكانة والدور إقليمياً ودوليا، مجلة قضايا سياسية، المجلد الرابع، العددان (٢١-٢٢) ، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠١٠، ص١٠٩.

(١٠) واثق محمد براك، الأبعاد الاستراتيجية للحرب الروسية-الجورجية، أغسطس/٢٠٠٨، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٣٤، ٢٠١٤، ص١٨٨.

أسطولها من الأراضي الأوكرانية [١١].

وقد أكدت وزارة الخارجية الأوكرانية عام ٢٠٠٩، بقولها ان على روسيا اخلاء قاعدتها البحرية في سيفاستوبول بحلول عام ٢٠١٧، لذلك تعاظمت مخاوف روسيا حول مصير اسطولها في ميناء سيفاستوبول. وكان أسلوب عقد الاتفاقيات مع الحكومات الأوكرانية الخيار الوحيد أمام روسيا طوال أكثر من عقدين من الزمن لإبقاء أسطولها بالبحر الأسود في ميناء سيفاستوبول. وكانت الاتفاقية الأخيرة من هذا النوع في أبريل عام ٢٠١٠ بمدينة (خاركوف) الأوكرانية بين الرئيس الروسي آنذاك (دميتري مدفيديف والرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش) أثر فوزه في الانتخابات الرئاسية في أوكرانيا، والتي تقضي ببقاء الأسطول البحري الروسي في القرم لغاية عام ٢٠٤٢ مقابل دفع روسيا مبلغ ٩٨ مليون دولار سنويا مع شرط تنزيل سعر الغاز المصدر إلى أوكرانيا بنسبة ٣٠بالمئة. إلا أنَّ الانقلاب الذي وقع في أوكرانيا عام ٢٠١٣، ضد الرئيس (فيكتور يانوكوفيتش) الموالي لروسيا وصعود القوى اليمينية القومية المتطرفة إلى السلطة في العاصة الأوكرانية (كييف) اثار مخاوف روسيا ، خصوصاً بعد أن تزايدت احتمالات فسخ اتفاقية الأسطول الروسي في القرم، الامر الذي بات يشكل تهديدا كبيراً على الأمن القومي الروسي ومصالحها في منطقة البحر الاسود، مما جعل روسيا تدعم الطموحات القديمة لسلطة الحكم الذاتي الروسي المحدودة في القرم إلى إجراء استفتاء عام بهذا الشأن لنيل الاستقلال في شبه جزيرة القرم، حيث يشكل الروس نسبة ٦٠ بالمئة من سكان شبه الجزيرة، مما ساعد روسيا في الاستفتاء الذي أجرته عام ٢٠١٤، وكانت نتيجة الاستفتاء لصالح إلحاق الجزيرة بالاتحاد الروسي الامر الذي سمح لروسيا بأن ترفع الخطر المحدق بوجودها العسكري في منطقة ذات أهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لبقاء اسطولها البحري في البحر الاسود، كما رفع هيبتها كدولة تدرك مصالحها وتقدر على حمايتها . وكانت القوات البحرية الروسية من اسطول البحر الأسود قد نفذت مناورات كبيرة بين عامي (٢٠١٢-٢٠١٣) في البحر الأسود اشتركت فيها مجموعة من السفن الحربية التابعة مع وحدات من مشاة البحرية مدعومة بأسراب من الطائرات نفذت سلسلة من الفعاليات التدريبية قبيل أزمة القرم أثبتت من خلالها قدرة الأسطول البحري الروسي على تنفيذ مهام متعددة في آن واحد. وقد أفادت وزارة الدفاع الروسية أن كل السفن والطائرات والمروحيات والآليات الحربية التي شاركت في المناورات عادت إلى قواعدها في قاعدتي سيفاستوبل ونوفوروسيسك ومقاطعة روستوف (جنوب روسيا) بعد اختتام الفعاليات المدرجة ضمن خطة التدريبات[١٢].

إن حالة التنافس بين روسيا وحلف الناتو تجري على قدم وساق في البحرين الأسود والمتوسط، فكلما عمل الناتو أكثر على طمأنة حلفائه من خلال التمركز في مواقع أمامية تقترب من القوات الروسية اعتمدت روسيا اظهار امكانياتها وقدراتها العسكرية من خلال تقديم العروض واجراء المناورات العسكرية في البحرين الأسود

(١١) باسل راشد، تهديد جيواستراتيجي: حسابات القطب الروسي في الأزمة الأوكرانية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٦: مركز الأهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، القاهرة ،٢٠١٤ ، ص١٢٢.

(١٢) إبراهيم المنشاوي، مستقبل العلاقات الأوربية الروسية في ضوء أزمة القرم، على الموقع: www.acrseg.org

والمتوسط لخلق ظروف مواتية لوضع قواتها البحرية في البحرين الأسود والمتوسط زويدت أساطيلها الحربية بسفن وأسلحة عصرية لخلق توازن استراتيجي مع قوات حلف الناتو والقوات الأمريكية.

والجدير بالذكر أن لجزيرة القرم أبعاداً استراتيجية يمكن اجمالها بوجود مينائي: (أوديسا وسيفاستوبول) مقر اسطول البحر الأسود الروسي الذي يضم الآلاف من عناصر القوة البحرية منذ الحقبة السوفيتية، كما تعد ركيزة لدعم خط التجارة الروسي إذ يوجد فيها مرفأ لتوقف السفن التجارية، فضلاً عن قربها من منابع النفط في القوقاز واسيا الوسطى واطلالتها على المضايق التركية البسفور والدردنيل يسهل عملية العبور للسفن التجارية والعسكرية إلى البحر المتوسط [١٣].

الاجراء الروسي في المتوسط:

الاجراء المتميز الآخر الذي اتخذت روسيا الاتحادية من خلال اعداد وتوسيع القاعدتان الروسيتان: قاعدة طرطوس البحرية وقاعدة حميميم الجوية جنوب شرق اللاذقية، وكلتاهما على ساحل البحر الأبيض المتوسط على الشواطئ السورية. ويعود الاهتمام الروسي بالبحر المتوسط الى عام ١٩٧١، زمن الحقبة السوفييتية عندما وقعا الجانبين السوري والروسي اتفاقية تضمنت استئجار روسيا مرافق في مرفأ طرطوس السورية من أجل الوصول إلى المياه الدافئة، وهي القاعدة الوحيدة لروسيا في البحر المتوسط. وقد شهد العقد الأخير من القرن الماضي (عقد التسعينيات)، تدهور في العلاقات الروسية–السورية، بسبب رفض القيادة الروسية السابقة إجراء أية تسوية للديون السورية العالقة منذ زمن العهد السوفيتي والبالغة (٩,٨) مليار دولار، الامر الذي عرقل استخدام روسيا للقاعدة [١٤]، ولكن مطلع الالفية الثالثة بدأت العلاقات الروسية–السورية بالتحسين بعد تسلم الرئيس (فلاديمير بوتين) رئاسة الدولة عام ٢٠٠٠، ثم تعمقت بعد ذلك العلاقات الروسية–السورية ولاسيما بعد موافقة القيادة الروسية الجديدة عام ٢٠٠٥ بتخفيض الديون السورية العالقة بنسبة ٧٣٪ ، مما أعاد العمل بالاتفاقية السابقة والسماح للأسطول الروسي بالقدوم المستمر نحو الشواطئ السورية شرق البحر المتوسط عبر ميناء طرطوس التي اعتمدتها القوات الروسية نقطة ارتكاز لتوسيع التواجد العسكري الروسي في مياه البحر المتوسط[١٥].

وقد قام القادة الروس بربط قوات اسطول البحر الاسود من سفن وغواصات وحاملات طائرات وآلاف الجنود لدعم قاعدة طرطوس في الساحل السوري. استعملت روسيا هذا التواجد البحري الكثيف في شرق البحر المتوسط لدعم قواتها المشاركة في الازمة السورية. أنّ قاعدتي طرطوس وحميميم يقعان في منطقة المسؤوليات لأسطول

(١٣) حمزة جمول، أوكرانيا ورقعة الشطرنج الدولية، صحيفة الاخبار، ٢٧ شباط ٢٠١٤، متوفر على الرابط:
https://www.al–akhbar.com

(١٤) نورس محمد علي، مرفأ طرطوس عقدة دولية للنقل بين الشرق والغرب، بحث منشور على الرابط:
http://www.esyria.sy/etartus/index.

(١٥) Daniel Treisman ,Why Russia supports Syria›s Assad,Ucla Today, faculty and Staff News, 2011, http://today.ucla.edu/portal/ut/PRN-russia-s-support-for-assad-regime228392-.aspx

البحر الاسود وأنه ليس من المستبعد أن تتوجه سفن هذا الاسطول الحربية إلى البحر المتوسط لفرض وجود عسكري دائم هناك ولتنفيذ مهام تأمين قاعدتي طرطوس وحميميم. وقد أكد الجنرال (سيرغي شويغو) وزير الدفاع الروسي على ضرورة التواجد الدائم في البحر المتوسط، وأضاف أن خطة تسليح القوات البحرية الروسية في البحر المتوسط تتضمن تحديث الأسلحة بأسلحة وتقنيات حديثة. كما أفادت مصادر مقربة من وزارة الدفاع الروسية بان تم الربط بين القوات الحربية الروسية المتواجدة في البحر المتوسط ومجموعة سفن اسطول البحر الأسود اعتبارا من عام ٢٠١٥ ضمن تشكيلة عملياتية دائمة، على غرار التشكيلة العملياتية التي كانت ترابط في البحر الابيض المتوسط في زمن الإتحاد السوفييتي والتي مارست دور قوة الكبح والتصدي في أثناء الحرب الباردة، وذكرت وزارة الدفاع أن هذه التشكيلة العملياتية ستقوم بتدوير هذه القوات بشكل دوري للإبقاء على تواجد مستمر في المنطقة، لان أكثر التهديدات خطورة على الامن القومي الروسية تتركز في هذه المنطقة، بسبب تعزيز الأسطول الأمريكي في حوض البحر المتوسط [١٦].

وقد قامت روسيا الاتحادية بتوسيع تواجدها العسكري في شرق البحر المتوسط على الشواطئ السورية عبر اعداد وتوسيع قاعدة طرطوس البحرية بعد عام ٢٠٠٩، على أثر اتفاقية ابرمت بين البلدين بإشراف وزيري الدفاع الروسي والسوري، ثم تم عقد اتفاقية أخرى بين البلدين لتوسيع قاعدة حميميم الجوية عام ٢٠١٥. بعد ذلك قامت القوات البحرية الروسية بإجراء مناورات بحرية عرفت باسم «درع المحيط» وكانت في الأول من سبتمبر عام ٢٠١٨، في منطقة البحر الأبيض المتوسط قبالة السواحل السورية، واعتبرت هذه المناورات الأكبر في تاريخ روسيا الحديث، إذ شاركت فيها مختلف القطاعات العسكرية مدعومة من سفن الاسطول الشمالي واسطولي بحر البلطيق والبحر الأسود، وكان مسؤولون في الحلف الأطلسي يراقبون المناورات الروسية عن كثب وأبدوا انزعاجهم من اجراء تلك المناورات [١٧].

وامتداداً لتلك المناورات قامت القوات البحرية الروسية في بحر البلطيق بمناورات ضخمة استكمالاً لمناورات « درع المحيط» التي أجرتها القوات البحرية الروسية في البحر المتوسط في العام الماضي، هذا ما أعلنه الناطق باسم وزارة الدفاع الروسية، أن مناورات «درع المحيط ٢٠١٩» انطلقت في بحر البلطيق صباح الأول من أغسطس – آب ٢٠١٩، لتعزيز مهارات القوات البحرية الروسية والتأكد على جاهزيتها القتالية[١٨].

فضلاً عن الإجراءات التي اتخذتها روسيا الاتحادية في أهم البحار العالمية لضمان أمنها القومي، قامت ايضاً بإجراء آخر ضد حلف الناتو ودول أوروبا الشرقية لا يقل أهمية وتأثير عن الإجراءات السابقة. لقد استعملت روسيا سياسة الردع ضد حلف

(١٦) محمد باسم، روسيا وأمريكا في صراع المتوسط، الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٣، ص٦٥.

(١٧) قناة سكاي نيوز، روسيا تبدأ مناورات واسعة النطاق في المتوسط، ٠١ / ٠٩ / ٢٠١٨، على الرابط الالكتروني:
https://www.skynewsarabia.com/world/

(١٨) روسيا تطلق مناورات تمتد من البحر المتوسط إلى بحر البلطيق على الرابط:
https://arabic.sputniknews.com/russia/2019

الناتو، لمنعه من ضم الدول التي لها حدود مشتركة معها الى عضويته. وقد كان إطلاق التهديدات من الجانب الروسي لتحقيق المصداقية اللازمة لتلك السياسة، الامر الذي أدى الى ردع الحلف والدول التي لها حدود مشتركة مع روسيا وثنيهم عن مقاصدهم بإحكام الطوق والاقتراب من الحدود الروسية. فقد لوحت روسيا بجعل أوربا عرضة لأسلحتها النووية إذا ما أقدم الحلف على ضم الدول التي لها حدود مشتركة معها أو قام بنشر الدرع الصاروخي الأمريكي على الأراضي البولندية (١٩). كما أعلنت روسيا عن قرب امتلاكها لأنظمة أسلحة نووية جديدة غير موجودة عالمياً، وذلك لتذكير الجميع بأنّ روسيا قوّة لا يستهان بها ولا يجب إخراج العامل النووي من المعادلة أثناء التعامل معها. هذا ما أعلنه الرئيس الروسي (بوتين) تحت عنوان «مسائل ملحّة بخصوص تطوير القوات المسلحة الروسية»، فقد أشار الرئيس (بوتين) إلى استعداد روسيا للتعامل مع الأسلحة النووية كأسلحة هجومية، ولم يستبعد إمكان قيام روسيا بضربات وقائية ضد أعدائها المحتملين. كما حذّر حلف شمال الأطلسي من أنّ موسكو قد تعيد النظر في عقيدتها العسكرية، وخصوصاً في مجال الأسلحة النووية، إذا استمر الحلف في تبنّيه للعقيدة الهجومية التي تعود لفترة الحرب الباردة. وقد فهم المراقبون هذا الإعلان على أنّه تهديد للولايات المتحدة ودول حلف الناتو كونهم الأعداء المحتملون. وأضاف الرئيس (بوتين) إنّ روسيا تمتلك أعداد كبيرة من الصواريخ الاستراتيجية القادرة على اختراق أي شبكة دفاع صاروخي في إشارة إلى سعي واشنطن بناء شبكة دفاع صاروخي وهو خلاف معاهدة الدفاع الصاروخي الموقعة مع الاتحاد السوفياتي بتاريخ ٢٦ أيار/ مايو ١٩٧٢، والتي انسحبت منها الولايات المتحدة الامريكية في ٢٠٠١/١٢/١٤ من جانب واحد. واسترسل الرئيس (بوتين) قائلاً: «أنّ هذه الصواريخ ستوضع في الخدمة بدلاً من الصواريخ المنصوبة حالياً، وإنّ روسيا ستجري كل عمليات التحديث التي تلبي المصالح القومية الروسية وتتجاوب مع الوضع الدولي العام (٢٠).

وكان قد اقر استخدام الأسلحة النووية في العقيدة العسكرية للفترة من (٢٠٠٠-٢٠٠٨) تحت عنوان المهام الأولية لتطور القوات المسلحة لروسيا الاتحادية، كما أدرجت العقيدة العسكرية الروسية كذلك مفهوم «الردع غير النووي « الذي يقضي ببقاء القوات العسكرية التقليدية في حالة استعداد عالية، بحيث تحتفظ موسكو لنفسها بالحق في استخدام ترسانتها النووية إذا ما تعرضت هي أو أحد حلفائها لعدوان. أما العقيدة العسكرية التي صدرت عام ٢٠١٦، فقد تم التأكيد على خطر وتهديد توسع حلف الناتو، مما أدى الى ردت فعل معادية من قبل روسيا اتجاه حلف الناتو والانتقال من سياسة الدفاع الى الهجوم بعد أن تيقنت روسيا من أن المسائل الخلافية مع الدول الغربية مثل الازمة الأوكرانية والسورية وصلت الى طريق مسدود (٢١) .

(١٩) أحمد كرماوي، روسيا تلوح بالعودة إلى استراتيجية الردع النووي ، مجلة المجتمع، العدد ١٥٧٤، تاريخ ٢٠٠٣/١٠/٢٥، على الرابط ا:

http://www.almujtamaamag. com/Detail.

(٢٠) Macel de Haas, Russia's Foreign Security Policy in the 21st Century: Putin and beyond, Routeledge Contemporary Studies, 2010, p.15.

(٢١) مريم موسي رياض يعقوب، تأثير الصعود الروسي على العلاقات الروسية-الامريكية خلال فترة بوتين وأوباما،=

المبحث الثاني
قراءة في آثار الإجراءات الروسية في أهم البحار العالمية

في ضوء المتغيرات والتحولات التي أحدثتها الإجراءات الروسية في البحر الأسود والبحر المتوسط يأتي الحديث عن آثار تلك الإجراءات على مستقبل المكانة الدولية لروسيا الاتحادية ودورها العالمي في النظام الدولي. إن من أهم أهداف روسيا الاتحادية، استعادة المكانة الدولية المرموقة ودورها العالمي في النظام الدولي بعد أن تفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي. مما صاحب ذلك تغير في بنية النظام الدولي من ثنائي القطبية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية الى نظام احادي القطبية سيطرت على مقاليده الولايات المتحدة الأمريكية بمفردها. إلا أن روسيا الاتحادية ما فتأت تسعى لاستعادة المكانة الدولية المرموقة لمنافسة وموازنة أدوار الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي. ان السياسة الخارجية الجديدة المعلنة لروسيا تقوم على رؤية جديدة لنظام عالمي جديد لا مكان فيه للقطبية الاحادية وانما عالم قائم على التعددية القطبية في النظام الدولي(٢٢).

لقد تعددت آثار الاستراتيجية الروسية في البحرين الأسود والمتوسط، ومن تلك الآثار أن تمكنت روسيا من منافسة الناتو في هذه البحار من الناحية الاستراتيجية بعدما وسعت من تواجدها العسكري فيها، ثم استعادت روسيا هيبتها وتصاعد دورها العالمي، وكان كسر الطوق الذي فرضه التحالف الأمريكي–الأوروبي على روسيا الاتحادية من أهم الآثار التي حققتها روسيا من خلال منع بعض دول أوروبا الشرقية والقوقاز من الانضمام الى عضوية حلف الناتو، الامر الذي حجم من دور الناتو في منطقتي القوقاز وأوروبا الشرقية(٢٣).

وكان الحصار الذي فرض على روسيا من دول بعضها اطلسية والبعض الآخر حليفة او متعاونة مع حلف الأطلسي، لتشكل طوق شاسع قد مكَّن حلف شمال الاطلسي فرض عزلة دولية على روسيا الاتحادية، مما قلصت واضعفت دورها السياسي والدبلوماسي والعسكري والاقتصادي في الساحة الدولية، لذلك وجدت روسيا إن من الضروري الوقوف بحزم ضد توسيع حلف الناتو ومعالجة مسألة الحصار البري والبحري والجوي الذي شكل طوقاً شاسعاً يهدد الأمن القومي الروسي(٢٤).

إنَّ فرض الطوق الجديد على روسيا من قبل حلف الناتو قد بدأ فعلياً عام ١٩٩٣، بانضمام معظم دول أوروبا الشرقية التي كانت ضمن حلف وارشو الى الحلف الأطلسي.

=المركز الديمقراطي، العربي على الموقع:
http://democraticac.de/?p=35126

(٢٢) المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية، التوازن العسكري ٢٠٠٤– ٢٠٠٥ ، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، أبو ظبي، ٢٠٠٥، ص ص٢٠٨–٢٠٩.

(٢٣) محسن طاهر مديهيش، توسيع حلف الناتو بعد الحرب الباردة : دراسة في المدركات والخيارات الاستراتيجية الروسية، دار جنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ص٦٧.

(٢٤) ممثل روسيا لدى الناتو، روسيا تعارض بشدة توسع الأطلسي شرقا، موقع أخبار أوروبا، على الموقع:
www.arabic.euronews.com

إلا إنَّ المتغيرات الفاعلة التي أجرتها روسيا الاتحادية قد بدأت عام ٢٠٠٨ من خلال ادارتها الناجحة للازمة الجورجية، ليبدأ عهد جديد من العلاقة مع حلف الناتو تبلور فيها قدرة روسيا على مواجهة التحديات التي عانت منها في المرحلة السابقة خلال فترة حكم الرئيس الأسبق (بورس يلتسن)[٢٥].

فقد تمكنت روسيا من خلال الحرب الجورجية اظهار سيطرتها على منطقة البحر الاسود واجبار الاطراف المعادية إيقاف تطاولها على المصالح الروسية طبقاً للتصور الروسي، ومن ثم التعامل بإيجابية مع دورها الجديد في المنطقة، لاسيما في القوقاز الجوار القريب والمجال الحيوي لروسيا الاتحادية. فقد استطاعت روسيا في هذه الحرب تحجيم الدور الأمريكي–الاوروبي في منطقة القوقاز، إذ أعلن (شيفر) الأمين العام للحلف الأطلسي آنذاك، بأن الحلف لا يملك الصلاحيات للتدخل العسكري في الحرب الجورجية الروسية. أما الموقف الأمريكي فلم يخرج عن هذا الإطار واكتفت التصريحات الامريكية بالإعراب عن القلق ازاء الحرب التي تشنها القوات الروسية ضد جورجيا والمناشدات بوقف الحرب وتسوية الازمة بالطرق السلمية.

لقد استعادت روسيا الاتحادية من خلال الازمة الجورجية الهيبة والنفوذ في بقية دول الاتحاد السوفياتي السابق ولقنت حلف الاطلسي درساً قاسياً، أصبح على أثره عاجز عن الرد ولا يستطيع عمل أي شيئ إزاء الرد الروسي الحاسم، كما تحقق لروسيا خلال تلك الازمة البدء بمرحلة التنافس مع الدول الغربية وليس التابع أو المجاري للسياسة الأمريكية، كما تمكنت روسيا من أعادت صياغة التحالفات مع دول الجوار القريب، من خلال عقد اتفاقيات امنية واقتصادية تثبت تصاعد دور روسيا وتحقق مصالحها واستقلالية قراراتها[٢٦].

وتمكنت روسيا من تحقيق أهداف استراتيجية طالما انتظرت طويلاً لتحقيقها، إذ تمكنت من تسويق منظورها الأمني الخاص بمنطقة القوقاز، حيث تم اخطار حلف الناتو بضرورة الكف عن فكرة ضم جورجيا الى عضويته، كما تولدت نوع من القناعة لدى تلك الدول بضرورة الابتعاد عن الولايات المتحدة الأمريكية، لعدم استعدادها الوقوف ضد السياسة الروسية في المنطقة، وأن روسيا الطرف الوحيد القادر على حمايتها ورعاية مصالحها، مما يعني استقطاب هذه الدول الى حظيرتها وبدأ مرحلة المنافسة الحقيقية مع الولايات المتحدة الأمريكية على المدى البعيد في المنطقة [٢٧].

كما تمكنت القوات البحرية الروسية من الانتشار العسكري الواسع في البحر الاسود وأجرت سلسلة مناورات بالذخيرة الحية، فضلاً عن المناورات العسكرية التي أجرتها في البحر المتوسط وبحر البلطيق، بالإضافة الى زيادة التواجد العسكري الروسي في القواعد البحرية والخلجان والمضايق الاستراتيجية، مما حقق لها منافسة حقيقية مع أساطيل حلف الناتو في هذه البحار، الامر الذي أدى الى إعادة التوازن الاستراتيجي بين روسيا وحلف

(٢٥) سعد شاكر شبلي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، ص٩٠.
(٢٦) خالد سعد زغلول، الأزمة في القوقاز تحد جديد للاتحاد الأوربي. مجلة السياسة الدولية. العدد(١٧٤) مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٠١٨ .
(٢٧) خالد سعد زغلول. مصدر سابق، ص٢٢١.

الناتو في هذه الأماكن الاستراتيجية من العالم. بالمقابل أظهرت الحرب الجورجية-الروسية في منطقة القوقاز عجز الناتو لحماية حلفائه من التحدي الروسي، الامر الذي أجبر الحلف على أعادة النظر في سياسته وعقيدته العسكرية اتجاه روسيا بعد أن تولدت قناعة لدى الحلف الأطلسي بأن روسيا لا تتردد في استخدام القوة العسكرية ضده أو أحد أعضائه في حالة المساس بالمصالح الروسية وتعريض الامن القومي الروسي للخطر، فضلاً عن نجاحها في ردع الجوار القريب عن التفكير بالتقرب أكثر من حلف الناتو على حساب العلاقة والقرب من روسيا، كما تسنى لروسيا الإشراك في الترتيبات الأمنية في مناطق النفوذ المتنازع عليها في آسيا وأوروبا وربما في العالم اجمع على أن تكون روسيا طرفاً فاعلاً في السياسة الدولية[٢٨].

وبعد انضمام شبه جزيرة القرم الى الاتحاد الروسي ما أدى الى استعادة النفوذ الروسي على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري في الدول المطلة على البحر الأسود وشرق أوروبا، في الوقت الذي تراجع فيه نفوذ حلف شمال الأطلسي جراء تلك الازمة. فقد تم حرمانه من الحصول على أي معلومات عن طريق الجو في منطقة البحر الاسود. وكان بعض قادة الحلف قد أشاروا مراراً الى تلك المشكلة وعبروا عن قلقهم الشديد من هذا التهديد الذي أطلقوا عليه تسمية (مكافحة صعوبة الوصول الى منطقة مجهولة) خاصة بعد أن بدأت روسيا بتحديث قواتها في أسطول البحر الاسود في ميناء سيفاستوبول واسطول بحر البلطيق لتوفير مراقبة فعالة على تحركات الناتو في كلا البحرين وفي سماء دول البلطيق أيضاً كل من: استونيا ولتوانيا ولاتفيا بهدف تحويلها إلى قوات قتالية حديثة قادرة على مواجهة أي تهديد أو تحدي من جانب الناتو في هذه المناطق، وقد تم تجنب النفوذ العسكري الروسي المتزايد في هذه المناطق، الامر الذي سيعطي روسيا قدرة التحكم بشكل أكبر بمنطقة البحر الأسود وبحر البلطيق أيضاً، ، على الرغم من نشر الولايات المتحدة بعض دوريات المراقبة في المنطقة. بهذا الاجراء تكون روسيا قد تمكنت من تأسيس وجود عسكري دائم لها في البحرين الأسود والبلطيق، لاسيما بعد أن أخذت تركيا تتردد كثيراً في الموافقة على توسيع تواجد قوات حلف الناتو في البحر الأسود، لأن ذلك من شأنه أن يضعف السيطرة التركية في المنطقة ويجلب لها المتاعب. وبذلك تكون روسيا قد استطاعت الخروج من الحصار وكسر الطوق المفروض عليها من قبل الناتو. ولا تقتصر الطموحات الروسية على البحر الأسود، بل تتعداه إلى منطقة البحر المتوسط لتعزيز تواجدها العسكري في سوريا [٢٩] .

فضلاً عن هذه المعطيات التي تحققت لروسيا جراء استعادتها جزيرة القرم فقد استطاعت روسيا منع أوكرانيا من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي أو إلى حلف الناتو. إنّ تلك الازمة كشفت عن إصرار روسيا كسر الطوق المفروض من قبل الحلف واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الأمن القومي الروسي، كما أبقت تبعية الدول الاوروبية

(٢٨) أحمد دياب، النزاع في القوقاز حسابات خاطئة وتداعيات إقليمية خطيرة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٤، مركز الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٢١٠.

(٢٩) فورين أفيرز : التواجد الروسي المتنامي في البحر الأسود، بحث منشور على الرابط:
https://idraksy.net/russias-growing-stronghold-in-the-black-sea/

اقتصادياً لروسيا، ولاسيما في قطاع الطاقة الأمر الذي يشكل بالغ الأثر على عجلة الاقتصاد الأوروبي، كما أظهرت الازمة بوادر التصدع داخل المعسكر الأوروبي التي عبر عنها كل من بريطيا وألمانيا من خلال إبدائهما عدم الحماسة تجاه مقاطعة روسيا تجاريا، نظرا للتداخل التجاري المتشعب بين روسيا والدول الأوروبية، كما أجبرت الازمة الأوكرانية حلف الناتو في اتخاذ إجراءات عسكرية من قبيل الإعلان عن استنفار قواته في منطقة البحر الاسود وشرق أوروبا وفوق بحر البلطيق(٣٠).

وفي محادثات مينسك الخاصة بتسوية الازمة الأوكرانية فرضت روسيا شروطها على الأطراف المتفاوضة معها (أوكرانيا ودول الاتحاد الأوروبي) من قبيل: ألا تقترب أوكرانيا أكثر إلى الاتحاد الأوروبي. وفي اجتماع ثلاثي جمع كل من ممثلي: التحاد الأوروبي – روسي –أوكراني في ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، تم الاتفاق على تأجيل تطبيق اتفاق منظمة التجارة الحرة الأوروبية مع أوكرانيا من تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٤ إلى نهاية عام ٢٠١٥، وهددت روسيا بفرض قيود جمركية على أوكرانيا إذا لم يتم تطبيق شروطها ورعاية مصالحها(٣١). في الوقت نفسه اتسمت السياسة الامريكية تجاه روسيا بالضعف والارباك واكتفت بفرض عقوبات تدرجية على روسيا وبررت تلك السياسة بأنها الضمانة الوحيدة لعدم تكرار السلوك الروسي مع باقي دول وسط وشرق أوروبا في المستقبل(٣٢).

كما إنَّ إطلاق روسيا التهديدات ضد أوروبا منع الدول التي لها حدود مشتركة مع روسيا سواءً كانت في القوقاز أو وسط وشرق أوروبا مثل، جورجيا وأوكرانيا وفنلندا والسويد ومولدافيا، من الانضمام الى عضوية حلف الناتو، الامر الذي سيوفر لروسيا الفضاء والوقت التي تحتاج اليهما من أجل تعبئة الإمكانيات واستكمال إجراءات الرد المناسب في حال نشوب الحربٍ، للدفاع عن امنها القومي وسلامة الأراضي الروسيّة. كما إن (سياسة الردع) التي تتبعها روسيا إزاء حلف الأطلسي قد أحبطت محاولاته في احكام الطوق وأجبرته على اشراك روسيا في وضع النظام الأمني لأوروبا ادراكاً منه بأهمية الدور الروسي الجديد في أوروبا(٣٣).

وانعكست مخرجات الاستراتيجية الروسية في البحر المتوسط على الدور الروسي في الشرق الأوسط، وقد ظهر ذلك جلياً في الازمة السورية. فقد وفرت القوات البحرية الروسية في قاعدتي (طرطوس و حميميم) على الشواطئ السورية الدعم الكامل للقوات الروسية، مما غير خارطة توازنات القوى الدولية والاقليمية في الازمة السورية لصالح روسيا على إثر الفراغ الجيوسياسي الناتج عن تراجع النفوذ الأمريكي فيها. إنّ سوريا اليوم باتت تمثّل ساحة تجاذبات ومنطقة «إرتطام» جيوبوليتيكة بين القوى الدولية والإقليمية

(٣٠) محمد صفوان جولاق، أوكرانيا وانفصال القرم ، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط:
https://www.studies.aljazeera.net

(٣١) Lawrence Freedman، "Ukraine and the Art of Limited War،" Survival،vol. 56, no. 6 (December 2014/ January 2015), p. 17

(٣٢) Kenneth T. Walsh, "No Good Options for Obama in Ukraine Crisis", U.S. News, 2014/03/03.

(٣٣) حميد حمد السعدون، روسيا ومتغيرات فضائها الآسيوي، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد (٨٩)، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص١٦.

الكبرى وفقاً للإستراتيجية الأميركية (٣٤).

وشكل توسيع وتزويد قاعدتي طرطوس البحرية وحميم الجوية في مدينتي طرطوس واللاذقية بأنواع الأسلحة الروسية المتطورة مصدر قلق لحلف الناتو، حيث فرض تواجداً عسكرياً ضخماً لروسيا الاتحادية في شرق البحر المتوسط. وكانت وزارة الدفاع الروسية قد أعلنت عن نشر منظومة صواريخ أس ٣٠٠ في قاعدة طرطوس لحماية العسكريين الروس هناك، والتي ستقوم مع منظومة صواريخ أس ٤٠٠ المنشورة في قاعدة حميميم بريف اللاذقية، فضلاً عن مقاتلات حربية متطورة طراز سوخوي- ٢٧ وسوخوي- ٣٠ القتاليتين المتقدمتين جداً وقاذفات مقاتلة من طراز سوخوي سو- ٣٤)فولباك(الأكثر تطوراً، كما تشير المصادر الاستخبارية الأميركية إلى مشاركة طائرات الشحن العسكري الروسية التي تقوم بعشرات الرحلات إلى مطار اللاذقية محمّلة بالأسلحة والعتاد والخبراء، والقيام ببناء منظومة دفاع جوية متكاملة هناك. فالولايات المتحدة ترى أنّ حجم البناء العسكري الروسي على الساحل السوري بهذا الحجم له أهداف أبعد من محاربة الفصائل المعارضة للنظام في سوريا. وقد عبر وزير الخارجية الأميركي (جون كيري) عن تلك القناعة الأميركية، عندما تساءل عن مدى حاجة الروس إلى نشر هكذا قوات متقدمة. فمن المعلوم أنّ فصائل المعارضة السورية لا تملك طيران حربي يستلزم مثل هذه القدرات وهذا النوع من الأسلحة، وهو ما يثير تساؤلاتٍ حقيقية حول ما إذا كان المقصود بذلك أن ترسل روسيا رسالة ضمنية لدول حلف الأطلسي الذي تقوده الولايات المتحدة(٣٥).

إنَّ هذا التوسع العسكري الروسي بهذا الحجم وهذه الكيفية حقق لروسيا أمرين أساسيين: إعادة توزيع القوة على الأرض وتأكيد مبدأ السيطرة الجوية. ويندرج ذلك في تحقيق منافسة النفوذ الأميركي-الاوروبي في المنطقة ومواجه التجاهل والاستخفاف في العديد من القضايا الدولية، ويؤكد دور الشريك الفاعل في القرار والنظام الدوليين، ويجبر هذه الأطراف على القبول بنظام دولي متعدّد الأقطاب تمارس فيه روسيا دوراً فاعلاً في توازنات القوى الإقليمية والدولية إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية المؤثرة(٣٦).

كما تم أفشال إحدى أهم حلقات مخطط التطويق الأمريكي-الأوروبي على روسيا وما ينطوي على ذلك من أهمية كبرى لصالح الأمن القومي الروسي. أن التواجد العسكري الروسي في البحر المتوسط سيكون له الأثر البالغ في مزاحمة (واشنطن) في المنطقة(٣٧) .

(٣٤) جلال خشيب، سوريا في مهبّ التحوّلات الدولية: دراسة جيوبوليتيكية نظرية، الحوار المتمدّن، العدد ٣٨١٥ ، ١٠ آب ٢٠١٢.

(٣٥) Jennifer Rizzo & Nic Robertson, "U.S. concerned about Russian jets in Syria," CNN, September ,19 2015, at: http://www.cnn.com/19/09/2015/politics/john-kerry-russia-jets-syria/; Michael R. Gordon & Eric.

(٣٦) Luke Coffey, Russia's priority is the survival of Assad's regime, 18 November 2015retrieved from http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/11/2015/russia-priority-survival-assad-regime151118053352343-.html

(٣٧) نزار اسماعيل الحيالي وعبد الحميد العيد الماوساوي، العلاقات الروسية-الامريكية من الشراكة الاستراتيجية إلى المنافسة الجيو سياسية (٢٠٠١-٢٠٠٨)، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، العدد (١٦)، بغداد، ٢٠٠٩، ص٥٨.

إنَّ التواجد العسكري الروسي الكبير شرق البحر المتوسط له مبرراته، كما يعتقد القادة الروس. فقد وفر لروسيا دور الشريك الاستراتيجي الذي يستطيع مراقبة المنطقة عبر الواجهة المتوسطية، والإمساك بزمام الأمور الأمنية لمكافحة الإرهاب، إذ يعتبر مكافحة الإرهاب من الأهداف المركزية لدى القيادة الروسية، لأنه يمثل عامل تهديد بارز ومتقدم للأمن القومي الروسي. وهو ما أكدت عليه العقيدة الاستراتيجية الروسية في كل تحديثاتها، خصوصاً بعد تعرض روسيا لسلسة هجمات إرهابية.(٣٨)

إنَّ روسيا تخشى من المدّ الثوري بسبب طبيعة أوضاعها الداخلية المتمثلة بوجود معارضة منظّمة ضد النظام والحزب الحاكم فيها، لاسيما في المناطق ذات الوجود الإسلامي. فمحاربة الحركات الإسلامية في سوريا تعد بمثابة خط دفاع متقدّم بوجه تمدّد الحركات الإسلامية التي من الممكن أن تصل إلى الحدود والداخل الروس إذا لم يتمّ لجمها عند الخطّ السوري، وهنالك اعتقاد روسي مفاده أنّ «الحرب على الإرهاب» في سوريا أو مناطق القوقاز هي حرب مفروضة على روسيا وسوريا. أنّ الساحة السورية تستقطب الآلاف من المسلمين الروس من اصول شيشانية للانضمام إلى القتال مع الحركات الإسلامية المعارضة لنظام الأسد والتخوّف من عودتهم إلى داخل روسيا في الشيشان أو القوقاز أو آسيا الوسطى المجاورة وجلب المعركة إلى قلب روسيا في حال عودتهم إلى بلدانهم، وما يمثله ذلك من مخاطر تهدّد الأمن القومي الروسي(٣٩) .

لقد وقفت روسيا إلى جانب نظام الأسد، وقدّمت له مختلف أنواع الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري داخلياً وخارجياً، وعلى الرغم من دعوة الحكومة الروسية لنظام الأسد بضرورة القيام بالإصلاحات السياسية والدستورية، بيد أنها اعتبرته الجهة الشرعية الوحيدة في البلاد وقدمت له الدعم والحماية في الأمم المتحدة من خلال تعطيل المساعي الغربية لاستصدار أي قرار من مجلس الامن يدين النظام أو يسمح بعمل عسكري ضد سوريا، حتى لا تتكرر خدعة الولايات المتحدة الأميركية وبعض دول الحلف الأطلسي كما حصل في الازمة الليبية عندما ضغطت هذه الأطراف وأصدرت قرار من مجلس الأمن يجيز التدخل الإنساني في ليبيا، وقد أسيء استعمال هذا القرار لبلوغ أهداف سياسية واقتصادية(٤٠).

كما تمكنت روسيا من تحويل مسار مفاوضات تسوية الازمة السورية طبقاً لرؤيتها الخاصة، كما حصل في محادثات آستانا، يومي ١٥ و١٦ فبراير/شباط ٢٠١٧. بعد إخراج قوات المعارضة من حلب واشراك تركيا وإيران وتهميش دور الولايات المتحدة في جهود التسوية، لاسيما في أيام إدارة أوباما الأخيرة. إنَّ موسكو استطاعت أن تؤسِّس لمسار جديد يمكن أن يُمثِّل بديلًا لمساعي الأمم المتحدة التي بدأت في جنيف ولم تحقق أي تقدم يُذْكَر حتى في تقديم رؤية واضحة لسبل تسوية الازمة، بسبب تقاطع المصالح

(٣٨) ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٣، ص.٢٦٦.

(٣٩) معن طلاع، السياسة الروسية تجاه سورية منذ أحداث الثورة، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، إسطنبول، ٢٠١٤، ص ٣.

(٤٠) محمد الخليفي، «سر الموقف الروسي من الأزمة السورية» ، القدس العربي: ٢٨ مارس ٢٠١٣

التي أدت الى تأزم العلاقات الروسية–الأميركية، مما أدى الى تخلّي (موسكو) عن فكرة العمل المشترك مع (واشنطن) والعمل على تشكيل وفد للمعارضة ودعوتهم إلى مفاوضات (أستانا) عاصمة كازاخستان.

لقد تصاعد النفوذ الروسي في الازمة وأخذ دور القوة القادرة على امتلاك مفاتيح الحل في الوقت الذي تراجع فيه الدور الأمريكي وأصبح ثانوياً لا يناسب وطموحات ومصالح الولايات المتحدة الامريكية(٤١). وكان ذلك واضحاً في دعم الموقف الروسي وتهميش الدور الأمريكي–الأوروبي في الازمة السورية (٤٢).

(٤١) نزار عبد القادر، روسيا والازمة السورية: مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، بيروت، العدد ٨٤، ٢٠١٣، ص٨٣.

(٤٢) فيتشسلاف يورين، الموقف الروسي من الثورة السورية لماذا تساند روسيا نظام الاسد؟، مقال منشور على الموقع https://ar.qantara.de/content/

الخاتمة

من خلال كل ما تقدم في هذا البحث يمكن اجمال اهم النتائج التي تم التوصل اليها بما يأتي:

١-إن اتباع روسيا سياسة التهديد ضد حلف الأطلسي شاركت في تحجيم دور الناتو والحد من محاولاته لإحكام الطوق على روسيا.

٢-إنَّ الإجراءات السياسية والعسكرية التي اتخذتها روسيا الاتحادية في البحر الأسود والبحر المتوسط قد أدت الى إعادة التوازنات الاستراتيجية بين روسيا والحلف الأطلسي في هذه البحار.

٣-مثلت أزمة جورجيا عام ٢٠٠٨، فرصة كبيرة لروسيا الاتحادية لإظهار قدرتها على التعاطي مع التحدي الاطلسي، وكان الرد الروسي يناسب ذلك التحدي، الامر الذي أحدث تحولاً في التوازن الاستراتيجي لصالح روسيا وخلق تحدياً كبيراً مست جوهر مهام الحلف الأطلسي.

٤-إنَّ أزمة جورجيا كانت منطقاً لمرحلة جديدة من العلاقات ببين روسيا والحلف الأطلسي وصفت بأنها علاقات تنافس اتضحت معالمها أكثر في ضم روسيا لشبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤.

٥-ان الاجراء الذي قامت به روسيا في شرق البحر المتوسط من تجهيز ودعم لقاعدتي طرطوس و حميميم ينم عن دراسة وتحليل لمتطلبات استعادة المكانة والدور اللتان تطمح اليهما روسيا في النظام الدولي.

٦-إنَّ الإجراءات المشار اليها قد لبت المتطلبات الضرورية لاستعادة روسيا الاتحادية المكانة والدور المرموقين في النظام الدولي. وان التحرك الروسي يأتي في إطار حماية مصالحها، لتحقيق توازن استراتيجي مجدداً بين الشرق والغرب، وهذا التوازن سيؤدي الى منع حدوث حرب واسعة النطاق في المنطقة أو في العالم.